المسألة الرابعة :

(مذ ومنذ) إعراب الاسم الواقع بعدهما[1]

توطئة:

اعلم أن العرب تستعملهما (مذ ومنذ) اسمين، وحرفين.. والأغلب في (منذ) الحرفية، والأغلب في (مذ) الاسمية، وذلك للحذف الذي لحقها، والحذف بابه الأسماء نحو (يدٌ – ودمٌ) والفعل من نحو (خذْ – وقلْ).. أما الحروف فليس الأصل فيها الحذف، وذلك لأن الحذف ضربٌ من التصرف، والحروف لا تصرف فيها لجمودها، وكونها بمنزلة جزء من الاسم والفعل، وجزء الشيء لا تصرّف له.[2]

كما أنّ الأصل في (مذ- ومنذ) أنك لو صغرتهما، أو كسّرتهما لرددت النون إليهما، فتقول في التصغير (منيذ) وفي التكسير (أمناذ) لأن التصغير والتكسير يردان الأشياء إلى أصولها، فدّل على أنّ الأصل في (مذ) منذ. [3]

وإذا كانا حرفيّ جرّ. . . فيختصان بجر الظاهر

قال ابن مالك في باب حروف الجر:

بالظاهر اخصص : منذ، مذ ....

ويشترط في مجروهما أن يكون وقتاً.. وأما قولهم: ما رأيته منذ أن خلقه الله، فتقديره: مذ زمن أن خلقه الله، أي: زمن خلق الله إياه.[4]

ويجران الزمان، ويكونان بمعنى (من) إن كان الزمان ماضياً، مثل: ما رأيته من يوم الخميس، وبمعنى (في) إن كان الزمان حاضراً، مثل: ما رأيته مذ يومنا، أو مذ عامنا، وبمعنى (من – وإلى) جميعا إن كان معدوداً، مثل: ما رأيته مذ ثلاثة أيام.

---

١) م/ ٥٦- ج١/ ٣٨٢).
٢) شرح المفصل (٤/ ٩٤).
٣) أسرار العربية (٢٠٠).
٤) شرح الأشموني (٢/ ٢٨٥).

وأكثر العرب على وجوب جرّهما للحاضر، وعلى ترجيح جرّ (منذ) للماضي على رفعه، وترجيح رفع (مذ) للماضي على جرّه.

فمن الكثير في (منذ) جرّ الماضي ومنه قول امرئ القيس :[1]

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وربــع عفت آثاره منذ أزمـــان

ومن القليل في (مذ) جرّ الماضي.

ومنه قول زهير :[2]

لمن الديــار بقنّـــة الحجـــر أقــوين مــذ حجج ومذ دهـــر

وإذا كانا اسمين.. فلهما معنيان:

الأول: أن يكونا بمعنى(الأمد) فتنظم أول الوقت إلى آخرة. . مثال ذلك: ما رأيته منذ يومان – منذ ليلتان. والمعنى: أمد ذلك يومان – ليلتان. والنكرة مما يختص بهذا الضرب، لأن الغرض عدّ المدة التي انقطعت فيها الرؤية، وذلك أنها وقعت جوابا عن كم مدة انقطاع الرؤية. أو مذ كم يوما لم تره؟ فوجب أن يكون الجواب عدداً، لأن (كم) للعدد، والجواب يكون مطابقاً للسؤال، ولا يلزم تخصيص الوقت وتعيينه، فإن آتيت بمعرفة تشتمل على عدد جاز، ولم يمتنع نحو قولك: لم أره مذ المحرم، أو منذ الشتاء، لاشتماله على مدة معدودة،كأنك قلت: لم أره منذ ثلاثون يوماً، ومنذ ثلاثة أشهر، لأن تعريفه لم يخرجه من إفادة العدد، فقد وفيّت بجواب (كم) وزيادة.

الثاني: أن يكونا بمعنى (أول الوقت) مثال ذلك : ما رأيته مذ يوم الجمعة.. والمعنى: ابتداء ذلك يوم الجمعة، وأول ذلك يوم الجمعة، وهذا الوجه لا يجوز فيه إلا التوقيت والإشارة إلى وقت بعينه.[3]

وذهب بعض البصريين.. إلى أنهما اسمان مطلقا ولو وقع الاسم بعدهما مجروراً كانا في تقدير اسمين مضافين، وإن كانا مبنيين، كقوله تعالى «من لدن حكيم عليم»[4] ألا ترى أنّ (لدن) مضاف إلى «حكيم عليم» وإن كان مبنياً.[5]

---

١) البيت من (الطويل)التصريح على التوضيح (٢/ ٦٥٧).
٢) البيت من (الكامل) التصريح على التوضيح (١/ ٦٥٦).
٣) شرح المفصل (٤/ ٩٤، ٩٥).
٤) من الآية (٦) سورة النمل.
٥) شرح المفصل (٨/ ٤٥).

وهل من فرقٍ بينهما (حرفين أم اسمين)؟

نعم. . هناك فرق من حيث اللفظ والمعنى :

أولاً : من حيث اللفظ :

إن كانتا حرفي جرّ، جرا ما بعدهما – وإن كانتا اسمين رفعا ما بعدهما.

إن كانتا حرفي جر تعلقا بما قبلهما، وكان الكلام جملة واحدة – وإن كانتا اسمين كان الكلام جملتين، الأولى فعلية، والثانية اسمية أو فعلية – كما سنذكر.

إن كانتا حرفي جر لا يصلح فيهما تصديق أو تكذيب، لأنهما حرفا إضافة – وإن كانتا اسمين فيصح أن نصدق إحداهما ونكذب الأخرى.

ثانياً: من حيث المعنى :

إن كانتا حرفي جر، دلتا على المعنى الكائن فيما دخلتا عليه، لا فيهما نفسيهما، إذْ الحروف لا يظهر معناها إلا مع غيرها.

إن كانتا اسمين، دلتا على المعنى الكائن في نفسيهما، إذْ الأسماء تدل على معنى في نفسها.

لِمَ بنيا؟ وعلام البناءُ؟

إذا كانتا حرفين فلا خلاف في بنائهما، إذْ الحروف كلها مبنية.

إذا كانتا اسمين، فهما مبنيان أيضاً، لأنهما اسمان فيهما معنى الحرف، فكانتا مبنيتين ك (منْ – ما) إذا كانا استفهاماً، أو جزاءً.

وحقهما البناء على السكون..

لأنه أصل البناء، وإنما حركت (مُنْذُ) بالضم لكون النونِ قبلها ساكنة، وضمت إتباعاً لضم الميم، إذْ النون غنّة من الخيشوم ساكنة، فكانت حاجزاً غير حصين. ولو بنوها على الكسر – بمقتضى التقاء الساكنين – لخرجوا من الضم إلى الكسر، وذلك قليل في كلامهم.

أمّا (مُذْ) فساكنة، لأنه لم يلتقِ في آخرها ما يوجب لها الحركة، فإن لقيها ساكن بعدها، ضمت لالتقاء الساكنين نحوَ : مُذُ اليوم، ومُذُ الليلة. . ومنهم منْ كسرها فيقول : مُذِ اليوم، ومُذِ الليلة.. فمنْ ضم فقد اتبع الضمُ الضمَ، فإذا كانوا أتبعوا الضم في (مُنْذُ) معَ الحاجز (النون) فإن يتبعوه مع عدم الحاجز في (مُذ) أولى. [1]

١) شرح المفصل (٤/ ٩٥).

والآن إذا ارتفع الاسم بعدهما. . فما رافعه ؟

ذهب المبرد، وابن السراج، والفارسي[١] وطائفة من الكوفيين، واختاره ابن الحاجب إلى أن الكلام (مبتدأ وخبر) ف (مذ – ومنذ) مبتدأ، وما بعدهما خبر في قولك : ما رأيته مذ يومان – ومنذ ليلتان، لأن (مذ – منذ) واقعتا موقع الأمد، فكأنك قلت : أمد ذلك يومان – وأمد ذلك ليلتان، فكما يكون الأمد مبتدأ، فكذلك ما وقع موقعه.[٢]

ذهب الأخفش، والزجاج، والزجاجي [٣] وطائفة من البصريين :

إلى أنّ الكلام خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، فإذا قلت : ما رأيته مذ يومان، ف (مذ) خبر مقدم، و(يومان) مبتدأ مؤخر، وتقدير (مذ) تقدير ظرف مكان، كأنك قلت : بيني وبينه يومان.. والمذهب الأول أظهر [٤].

ذهب الكوفيون – عدا الفراء – واختاره السهلي، وابن مالك [٥] وابن مضاء [٦] إلى أن (مذ – منذ) ظرفان مضافان لجملة فعلية، حذف فعلها، وبقي فاعلها. فإذا قلت : ما رأيته منذ يومان، كان الأصل : منذ كان يومان، أو منذ مضى يومان.

أدلة الكوفيين ومنْ وافقهم :

ذهبوا إلى أن (منذ) مركبة من (مِنْ) و(إذْ) فغيرا عن حالهما في حال إفراد كل واحد منهما، فحذفت همزة (إذ) ووصلت (مِنْ) بالذال، وضمت الميم فرقا بين حالة الإفراد والتركيب.. وهي دعوى تفتقر إلى دليل.

قالوا أيضاً إن مما يدل على أن الأصل فيهما (مِنْ – وإذْ) أن من العرب منْ يقول في (مُنْذُ) بضم الميم (مِنْذُ) بكسرها، فكسر الميم يدل على أنها مركبة من (مِنْ وإذْ) وإذا ثبت التركيب كان الرفع بعدهما بتقدير فعل، لأن الفعل يحسن بعد (إذْ) والتقدير في : ما رأيته مذ يومان – منذ ليلتان. . مذ مضى يومان، ومنذ مضى ليلتان [٧] وفيه – أيضاً نظر – لأن كسر نون(منذ) ليس دليل تركيب، فقد يكون لغة نادرة أو شاذة، كما أن الرفع بتقدير فعل اعتبارًا ب(إذ)، والخفض اعتباراً ب (مِنْ) ليس بجيد، وذلك لأن الحرفين إذا ركبا بطل عمل كل

١) مغني اللبيب (١/ ٣٦٧)
٢) شرح المفصل (٤/ ٩٥).
٣) مغني اللبيب (١/ ٣٩٧).
٤) شرح المفصل (٤/ ٣٩٧).
٥) مغني اللبيب (١/ ٣٩٧).
٦) التصريح على التوضيح (١/ ٦٦٢).
٧) الإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ٣٨٢وما بعدها).

واحد منهما منفرداً، ونشأ حكم آخر، وهو ما قرره الكوفيون أنفسهم في (لولا) حيث قالوا : إنها مركبة من (لو) و (لا) عوضاً عن فعل محذوف، وبعد التركيب صار لها عمل آخر.

– مذهب الفراء :

ذهب الفراء إلى أنهما خبران لمبتدأ محذوف، فإذا قلت : ما رأيته منذ يومان، كان التقدير : ما رأيته من الزمان الذي هو يومان، بناء على أن (منذ) مركبة من (مِنْ) و (ذو) الطائية [١].

دليل الفراء والردّ عليه:

ذهب الفراء إلى أن (مذ – منذ) مركبتان من (مِنْ – ذو الطائية) التي هي اسم موصول عندهم، والشواهد عليها في اللغة كثيرة، ومنها قول قوّال الطائيّ: [٢]

قولا لهذا المرء ذو جاء ساعيا هلُمّ فـإن المشرفيّ الفـــرائض

أراد: الذي جاء..

وقال مُلحة الجرميّ – وهو من طيء: [٣]

يغـــادر محض الماء ذو هو محضه عـــلى إثـــره إن كان للماء مـن محض

يرويّ العروق الباليات من البلى من العرفج النجديّ ذو باد والحمض

أراد : الذي هو محضه. . والذي بادٍ

فلما ركبتا (من وذو) حذفت الواو من (ذو) اجتزاءً بالضمة عنها، لأنهم يجتزئون بالكسرة عن الياء، وبالفتحة عن الألف، وبالفتحة عن الألف.[٤]

فمن الاجتزاء بالضمة عن الواو، قول الشاعر:[٥]

فلو أن الأطبّا كانُ حولي وكـان مـع الأطباء الشفاة

إذ ما أذهبوا ألماً بقلبـــي وإن قيل الشفاة هم الأساة

أراد (كانوا) فحذف الواو اجتزاءّ بالضمة.

---

١) مغني اللبيب (١/ ٣٦٧-٣٦٨).

٢) البيت من (الطويل) الإنصاف (١م ٣٨٤) الأشموني الشاهد (١٩٩) والمعنى : يتهكم بمن جاء يطالبهم بزكاة أموالهم، وكان قومه ممن امتنعوا عن آداء حق الله في أموالهم.

٣) البيتان من (الطويل) الإنصاف (١/ ٣٨٥).

٤) الإنصاف (١/ ٣٨٥).

٥) البيتان من (الوافر) الإنصاف (١/ ٣٨٥) ولا يعرف له قائل.

وقد قرئ في قوله تعالى «قد أفلحُ المؤمنون»[1] بضم الحاء وهي قراءة طلحة بن مصروف، فخرجها الزمخشري على أن الأصل «قد أفلحوا المؤمنون» فحذفت الواو لدلالة الضمة عليها، بدليل أن طلحة نفسه قرأ «قد أفلحوا المؤمنون» بالواو، وقرئ «تماماً على الذي أحسنُ»[2] وهي قراءة يحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق، وقال التبريزي: الذي هنا بمعنى الجمع، و(أحسنُ) أصله فعل ماض حذف منه الضمير – وهو الواو – فبقي (أحسنُ) أي: على الذين أحسنوا، وحذف الضمير والاجتزاء بالضمة تفعله العرب.[3] وعلى هذه القراءة، وهذا التخريج يكون (الذي) مستعملا في الجمع، نظير قول الشاعر:

وإنّ الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كلّ القـوم يا أم خـالد

أراد: (وإنّ الذين). [4]

وقال الفراء :

تماماً على المحسن، ويكون في مذهب جمع، كما قالوا : «إنّ الإنسان في خسر» وفي قراءة عبد الله «تماماً على الذين أحسنوا» تصديقاً لذلك.

وإن شئت جعلت (الذي) بمعنى (ما) ويكون (أحسن) مرفوعاً، تريد: على الذي هو أحسنُ.[5]

هذا وقد اختلف النحويون في جواز حذف حرف المد والاجتزاء عنه بالحركة للدلالة عليه أهو ضرورة من ضرورات الشعر أم هو لغة لبعض العرب؟

ظاهر كلام سيبويه أن ذلك ضرورة، فإنه ذكر ذلك واستشهد له في (باب ما يحمل على الشعر) وصدّر هذا الباب بقوله «اعلم أنه يجوز في الشعر مالا يجوز في الكلام من صرف مالا ينصرف يشبهونه بما ينصرف من الأسماء لأنها أسماءكما أنها أسماء، ومن حذف ملا يحذف يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفاً»[6].

وظاهر كلام الفراء أن ذلك لغة لبعض العرب قال: «وقد تسقط العربُ الواو وهي واو جمع اكتفاءً بالضمة قبلها، فقالوا في ضربوا: قد ضربُ.. وفي قال: قد قالُ، وهي هوازن، وعليا قيس»[7].

١) الآية (١) من سورة المؤمنون.
٢) من الآية (١٥٤) سورة النعام.
٣) البحر المحيط (٤/ ٢٥٦).
٤) الانتصاف من الإنصاف (١/ ٣٨٥-٣٨٦).
٥) معاني القرآن (١/ ٣٦٥).
٦) الكتاب (١/ ٨).
٧) الانتصاف من الإنصاف (١/ ٣٨٦).

وإن كانتا مركبتين من (منْ) و(ذو) التي بمعنى (الذي) فالذي اسم موصول يفتقر إلى صلة وعائد، والصلة لا تخلو: إما أن تكون من (مبتدأ وخبر) أو (فعل وفاعل) فإذا قلت : ما رأيته مذ يومان – منذ ليلتان، فالتقدير: من الزمان الذي هو يومان، فحذف (هو) الذي هو (المبتدأ) وبقي (الخبر) الذي هو (يومان) وحذف المبتدأ من الاسم الموصول جائز، كقولك: الذي أخوك زيدٌ. أي: الذي هو أخوك زيدٌ.

وما يؤخذ على الفراء فيما ذهب إليه:

١- قوله بالتركيب من (منْ- وذو الطائية) فاستعمال (ذو) موصول بمعنى (الذي) لغة طيْ فقط، أما ما رأيته مذ يومان – منذ ليلتان (بالرفع) فعند جميع العرب، فكيف تستعمل العرب قاطبة (ذو) بمعنى (الذي) عند التركيب مع (مِنْ) دون سائر استعمالاتها؟

٢- حذف المبتدأ من صلة الموصول (صدر الصلة) في قولك: ما رأيته مذ يومان، والتقدير: من الذي هو يومان، عند الجمهور حذف نادر.. وحذفكم إياه قياسا مستشهدين بقراء الرفع: «تماما على الذي أحسنُ» أي: هو أحسن. وهل للقراءة نظير في كلام العرب؟ ولم الحمل على النادر ولنا عنه مندوحة؟

يقول أبو حيان:

وذهب الكوفيون إلى أنها مركبة، وقال الفراء أصلها (من – ذو) من الجارة، وذو بمعنى الذي في لغة طيء، وقال غيره، أصلها (من إذْ) فحذفت الهمزة، فالتقى ساكنان، وحركت الدال بالضم.. ثم يقول: وهذان المذهبان سخيفان، يعني (ضعيفان). [١]

إنّ ما قاله أبو حيان هو ما قال به ابن يعيش في شرح المفصل (٤/ ٩٥) بنصه وفصه، إلا أن ابن يعيش قال معلقاً: وهذه دعوى لا دليل عليها.. وهي نفس عبارة الأنباري في (الإنصاف) فلم يأتنا أبو حيان بجديد. .

وخلاصة القول في المسألة أن الرفع فيه أربعة مذاهب:

١-مذهب الكوفيين واختاره السهلي وابن مضاء وابن مالك:

هو أن يكون مرفوعاً بفعل تقديره: مذ مضى يومان – أو مذ كان يومان، وعلى هذا المذهب يكون الكلام جملة واحدة.. قال ابن مالك: فهما ظرفان مضافان إلى جملة حذف صدرها، وهي (أي الجملة) في محل خفض بالإضافة إلى الظرف، وعلى هذا المذهب الكلام جملة واحدة (فعل محذوف + فاعل + جملة في محل جرّ بالإضافة).

١) ارتشاف الضرب (٣/ ١٥١٥).

٢- مذهب الفراء:

إنه مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: ما رأيته من الزمان الذي هو يومان.. وأيضا الكلام على هذا المذهب جملة واحدة، وهي جملة الصلة، ولا محلّ لها من الإعراب

٣- مذهب المبرد وابن السراح والفارسيّ:

إنه مرفوع على أنه خبر (مذ – منذ) وهما مبتدآن، وتقديرهما في النكرة (الأمد) وفي المعرفة (أول الوقت)، فإذا قلت: ما رأيته مذ يومان، فالتقدير: أمد انقطاع الرؤية يومان.. وإذا قلت ما رأيته منذ يوم الجمعة، فالتقدير: انقطاع الرؤية يوم الجمعة.

٤- مذهب الأخفش والزجاج وطائفة من البصريين، واختاره سيبويه:

إنه مرفوع على الابتداء، و(مذ – منذ) الخبر، وهما منصوبان على الظرفية، كما إذا أضيفا إلى الجملة.. والتقدير: بيني وبين لقائه يومان، وعلى هذا المذهب والذي قبله الكلام جملتان، والجمهور على أن جملة (مذ ومنذ) لا موضع لها من الإعراب.

ولا شك أنّ حمل الكلام على جملة واحدة أفضل من حمله على جملتين.. كما أن كتب النحو تسير وفق مذهب الكوفيين وهو الراجح عندي.

والله أعلم.